Latifa Mohamed ALAHYANE¹

**TRANSLATION HISTORY FROM A GENERAL LINGUISTIC
PERSPECTIVE: RESEARCH THE CONCEPTUAL DEVICE
AND TRANSFORMATION MECHANISMS**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-3.26>

Research Article

Received:

25/04/2021

Accepted:

13/05/2021

Published:

01/06/2021

This article has been
scanned by iThenticate
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Translation has been classified into the humanities since its inception. Its establishment as a science has a special theory that has gone through many stages. This required intellectual innovation that began with extensive practice, and later moved to theorizing.

The theorists of the 1950s sought to formulate proposals that were characterized by their important methodology and their focus on key and specific linguistics issues, and stressed the need to prove that translation issues and problems belong the field of linguistics. In this way, translation has gained its linguistics and pedagogical dimensions. Thus it has become possible to describe translations departing from the source and target languages. Additionally, it has become possible teaching translation as the process of moving from one language to another to the extent that some researchers, after the expansion of translation studies, started considering it a pure applied linguistics practice.

In this study, I elaborate the contribution of linguistics in theorizing translation by tracking the work of a group of linguists, including Nida in his project of theorizing the science of translation, Vinay and Darbelnet through his model of translation transformations, Catford in his approach to translation transformations within the framework of applied linguistics, Roman Jakobson regarding his proposals in the semiotics approaches, and George Monan in the linguistic theory approach to translation, and Fedorov in his contribution to the modern Theory of Translation...The objectives of this are to monitor the nature of the interest of these linguistics researchers and the specific background knowledge of each one of them, the nature of the conceptual devices and the analysis and classification mechanisms surrounding the problems faced by translators, particularly the difficulties of analyzing the source text and reformulating the target text through an awareness of the difference between languages.

Key words: Translation, Linguistics, Conceptual Device, Transformation Mechanisms, Text Analysis, Source Text, Target Text.

¹ Dr. , The Regional Academy for Education & Training Souss-Massa region, Agadir, Morocco,
latifa.alahyane@edu.uiz.ac.ma, <https://orcid.org/0000-0002-5964-4850>

تاريخ الترجمة من منظور لساني عام بحث في الجهاز المفاهيمي وآليات التحويل

لطيفة محمد أحيان²

الملخص

صنفت الترجمة منذ القديم ضمن العلوم الإنسانية، لذلك فإن تأسيسها باعتبارها علما قائما بذاته، وله نظرية خاصة حصل عبر مراحل عديدة تطلبت إبداعا فكريا بدأ بممارسة واسعة مكثفة، لينتقل في مرحلة متأخرة إلى مجال التنظير.

سعى المنظرون في خمسينيات القرن الماضي، إلى صياغة أطروحات اتسمت بمنهجيتها الهامة وتمحورها حول قضايا لسانية رئيسة ومعينة، وتأكيدا أهمية إثبات أن مسائل الترجمة ومشاكلها هي موضوعات لغوية. وبذلك ضببطت كثير من قواعد الترجمة التي أخذت مظهرها اللساني والبيداغوجي، إذ أصبح من الممكن وصفها انطلاقا من لغتي المصدر والهدف، وأمكن تدريسها باعتبارها انتقالا من لغة إلى أخرى، فبدأ الباحثون يعدونها ممارسة لسانية بحتة، أو تحديدا ممارسة لسانية تطبيقية.

نروم في مقالنا هذا تقديم نظرة عن إسهام اللسانيات في التنظير للترجمة، بتتبع أعمال مجموعة من اللسانيين، ومنهم نايدا في تنظيره لعلم عملية الترجمة وفيناى وداربيلينه عبر نموذجهما في التحولات الترجمة وكاتفورد في مقاربتيه للتحولات الترجمة في إطار اللسانيات التطبيقية ورومان جاكيسون بخصوص اقتراحاته في المقاربات السيميائية، وجورج مونان في المقاربة اللسانية النظرية للترجمة، وفيدوروف في إسهامه في النظرية الحديثة للترجمة... مستهدفين من ذلك رصد طبيعة اهتمام هؤلاء اللسانيين بالترجمة، والخلفية المعرفية المميزة لكل واحد منهم عن غيره؛ وطبيعة الجهاز المفاهيمي وآليات التحليل والتصنيف المحيطة بالمشكلات التي يواجهها المترجمون، لاسيما الصعوبات المتعلقة بتحليل النص المصدر وإعادة صياغة النص الهدف عبر الوعي بالاختلاف بين اللغات.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، اللسانيات، جهاز مفاهيمي، آليات التحويل، تحليل النص، النص المصدر، النص الهدف.

المقدمة:

رافقت الترجمة منذ العصور القديمة نمو الجماعات البشرية التي لم تكن منعزلة، بل تواصلت عبر التاريخ صلات مختلفة من تجارة وحروب وتعايش... وكانت نتيجة هذا الاختلاط الحاجة الماسة لمزدوجي اللغة لتيسير التفاهم وتوطيده، ومن ثم تحقيق التواصل والتلاقح بين اللغات والثقافات والحضارات. لذا تمثل الترجمة وضعاً نموذجياً يسمح بإجراء دراسة وافية بشأن دور اللغة في الحياة الاجتماعية، بل تعتبر ركنا هاما من أركان البحث العلمي الذي يقوم تطوير المجتمع.

صنفت الترجمة قديما ضمن العلوم الإنسانية، لذلك فإن تشييدها بوصفها علما قائما بذاته وله نظرية خاصة، لم يتحقق إلا بمروره من مراحل عديدة. ولكي نقرب الفكرة أكثر نشير إلى أن الانشغال بالجوانب النظرية لدراسات الترجمة يعد حديثا جدا قياسا إلى تاريخ ممارستها الطويل.

تعزو بيكر التعثر الذي عرفته الترجمة على امتداد تاريخها إلى كونها لم تحظ بالاعتراف والتقدير اللذين حظيت بهما مهن أخرى كالطب والهندسة، مما أدى إلى تدمير المترجمين من اعتبار الترجمة مهنة وليست علما له أسسه وضوابطه (Baker, 1992, p. 4).

استوجب تأسيس علم الترجمة Traductology تطوير إبداع فكري وتعميد آليات نظرية؛ فبعد أن اقتصر على ممارسات تطبيقية واسعة ومكثفة، تطورت في مرحلة متأخرة لتلج مجال التنظير. فقد قطع البحث في مجال الترجمة، باعتبارها

² د.، بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة سوس ماسة، أكادير، المغرب، latifa.alahyane@edu.uiz.ac.ma

نظرية، أشواطاً هامة تمكّن فيها من ضبط كثير من القواعد التي ترقى بها من مجرد هواية. إذ بعد أن كانت مقارباتها تدور في حلقة الترجمة الحرة والترجمة الحرفية، طمح المنظرون في الخمسينيات من القرن الماضي، في صوغ أطروحات اتسمت بمنهجيتها الهامة وتمحورها على قضايا لغوية رئيسة ومعينة، وتأكيداً لضرورة إثبات أن أسئلة الترجمة ومشاكلها، وإن كانت ذات طبيعة خاصة، هي موضوعات لغوية.

1- لمحات عن العلاقة بين اللسانيات والترجمة

لا تزال الأبحاث الأكاديمية جارية في مجال العلاقات الممكن ربط اللسانيات بالترجمة عبرها. والواقع أن هذا الارتباط سيظل بؤرة اهتمام الدارسين خصوصاً مع تطور مجالات اهتمام اللسانيات وتشعب فروعها.

مع أن الترجمة، باعتبارها عملية لغوية، لم تدرس في البدء في إطار تخصص علم اللغة المهتم بالتحليل اللغوي، فقد أسهم ازدهار اللسانيات في بداية القرن العشرين في تطوير نظرية الترجمة. ولا غرابة في ذلك؛ فاللسانيات قُطب مستقطب، وقد سبق لكود ليفي ستراوس Claude Lévi- Strauss أن استشرّف مستقبل توسع مجال اهتمام اللسانيات، بإشارته إلى أنها بفضل توجهها العلمي، ستصبح جسراً يعبره الباحثون في مجالات العلوم الإنسانية الأخرى كلها. (لمزيد من التفصيل في هذا الصدد ينظر: (Strauss, 1945, pp. 33-53)).

وبفضل تطور العلوم الإنسانية اكتسبت الترجمة مظهرها اللساني والبيداغوجي؛ إذ غذا من الممكن وصف الترجمات انطلاقاً من لغتي المصدر والهدف، وتسمّى كذلك تدريسها بوصفها انتقالاً من لغة إلى أخرى (Depré, 1999, pp. 53-54)، حتى إن باحثين كثراً بدأوا يُعدّونها ممارسة لسانية بحتة، أو تدريباً لسانياً تطبيقياً تحديداً بعد توسّع الدراسات حولها.

بذلك مثلت اللسانيات بالنسبة للترجمة أهمية أساسية، إذ بتقدم الدراسات اللسانية تزود منظرو الترجمة بآليات جديدة قننت عملية الترجمة وجعلتها علماً ذا أنساق علمية، على الرغم من إنكار بعض المهتمين بالترجمة العلاقة الوطيدة التي تربط الترجمة باللسانيات، ومنهم إدموند كاري Edmond Cary الذي يرى أنه على الرغم من أنها تشغل بالملفوظات اللغوية (Mounin, 1963, p. 196)، فإن ذلك لا يسوغ لها أن تصبح عملية لغوية لتجاهلها المظهر الأدبي للترجمة.

يرى أندري مارتيني أن التحول الذي طرأ على الموقف من علاقة الترجمة باللسانيات وتربطهما، يعود لأسباب متعددة. ففي كندا حدث ذلك بدافع الحاجة إلى عصنة الإدارة مزدوجة اللغة، بينما حصل في أمريكا بفضل التجنيد الصناعي لمترجمي الكتاب المقدس ضمن الجمعية الأمريكية المشهورة. أما في الاتحاد السوفياتي -سابقاً- فقد كان تقليداً قديماً أن تُعتبر الترجمة في أعلى درجات سلم الإنتاج الأدبية (Martinet, 1967, p. 96).

وبعد تحقق هذه الطفرة في تاريخ الترجمة، بدأت مرحلة جديدة في تنظير اللسانيين لها، فراجعت أبحاثهم الطرائق المتبعة في الترجمة، وعملت على إنتاج آليات ومفاهيم اشتغال جديدة. وهكذا فقد استطاعت اللسانيات وصف مجالات واسعة من الظواهر التي لها علاقة بالترجمة، وانصب الاهتمام على وضع خرائط لتكوين المترجمين، من جهة والتعدد اللغوي في جميع أشكاله من جهة ثانية.

2- مقاربات في الترجمة واللسانيات

في أواسط القرن العشرين، بعد تطور اللسانيات واستكمال بنائها ومنهجياتها، ظهرت في سنوات الخمسينيات مجموعة من المقاربات اللسانية في تحليل الترجمة، تميزت بتصنيفاتها الواسعة بهدف تعريف عملية الترجمة وتنظيمها، ودراساتها من منطلقات لغوية صرفة. وقد ساعدت المترجمين على اكتساب وعي جديد بموضوع ممارستهم سيما أن الاستفادة ضمت الدقة العلمية المتناهية التي عرفت بها اللسانيات من حيث وضع المصطلحات وتوحيدها وتوليدها.

نكتفي في هذا الصدد بالتركيز على بعض النماذج التي لها علاقة بسياق هذا المقال، فنستحضر بشكل مختزل أعمال مجموعة من اللسانيين الذين اهتموا بالصلات بين اللغة المصدر واللغة الهدف، مقتصرين على أوائلهم ومنهم: رومان جاكسون وج. س. كاتفورد وجورج مونان وجان بول فيناي وجان دارليني ويوجين نايدا.

1-2. إسهام فيدوروف في النظرية الحديثة للترجمة

يمثل فيدوروف الاتجاه السلافي في التنظير للترجمة، وقد أثارت دراسته "مقدمات لنظرية الترجمة" (Fedorov, 1953) نقاشاً مطولاً، لأنه اعتُبر من دعاة المقاربة الأدبية والجمالية للترجمة. وإذا لم يدرج علم اللغة دراسة النشاط الترجمي سابقاً في إطار اهتماماته، فإن فيدوروف في كتابه الثاني "أسس النظرية العامة للترجمة" 4 عيّن اتجاهها خاصاً جديداً لنظريتها، ومختلفاً عن سابقه لأنه "عزل عملية الترجمة لكي يدرسها دراسة علمية ويمهد لعلم خاص بها" (مونان،

3- American Bible Society.

4- أعتبر الكتاب الأول للمترجم الروسي أندري فيدوروف "مقدمات لنظرية الترجمة" أهم كتاب يضع نظرية علمية للترجمة على أساس لغوي، وقد نشر في عام 1953 تحت عنوان "مقدمة لنظرية الترجمة"، وبفضل نجاحه أعيد نشره مرة أخرى في عام 1958 في طبعة معدلة، ثم في طبعة ثالثة منه في عام 1968، لكن مع تعديل العنوان إلى: "أسس النظرية العامة للترجمة".

2013، صفحة 59)، بل إنه يرى ضرورة إلحاق كل نظرية في الترجمة بالعلوم الإنسانية، لأنها عملية لسانية مجالها قضايا لغوية (النص باختلاف تعاريفه، وحدة كان أو جملة)، ووسائلها معايير أو قوانين لغوية تتبعها؛ فهي تعمل على اللغة وباللغة، لذا يصبح ضمها إلى جملة العلوم اللسانية، كما يلزم أن يتوفر المترجم على تكوين عميق في مجال اللسانيات. تبعا لذلك، تتعين أهمية الترجمة حسب طرح فيدوروف في إتباعها بفروع الفيلولوجيا، ومن ثم دعوته المتخصصين في فقه اللغة إلى تركيز أبحاثهم لحل المشاكل المرتبطة بتنوع اللغات، ومختلف الإمكانيات لنقل النص المصدر عبر رسائل اللغة؛ لذلك ينبغي خلق أنسب الوسائل اللغوية التي تُيسر التعبير في اللغة الهدف عما هو موجود في اللغة المصدر. ويحدد تودوروف أيضا هدف الترجمة في ضبط الكيفية التي يمكن بها القارئ من معرفة النص الهدف بأيسر الطرق الممكنة رغم جهله لغة النص الأصلية، وبذلك يضع الترجمة في إطار عملي يحقق عبره المشتركون التواصل باعتباره محور الترجمة وهدفها الأساسي (Balliu, 2005, pp. 934-948).

في ضوء هذا التصور، يقترح تودوروف تعيينا للمطابقة بربطها بالتواصل الوظيفي مع النص المصدر، أي معادل التواصل، بالإضافة إلى مبررات اختيار إجراءات الترجمة من قبيل الأسلوب واللغة. ويتضح من هذا التعيين أن فيدوروف يعمم مفهوم الكفاية ويجعله منطبقا على أي ملفوظ دون تمييز، لأن تصنيف النصوص، كما يبدو، لا يحمل أي أهمية في تفكيره.

بتأكيد فيدوروف على أن الترجمة لغوية في الدرجة الأولى، واعتباره اللسانيات القاسم المشترك والأساس لكل العمليات الترجمة، يكون قد فطن إلى التمييز بين الترجمة، بوصفها عملية إبداعية فنية، وبين نظرية الترجمة باعتبارها فرعاً علمياً خاصاً.

وعليه، تتم عملية الترجمة وفق هذه الرؤية عبر سلسلة من التحليلات والعمليات المرتكزة على اللغة، وإذا كان من اللازم عدّها فنا فإنها بجذور علمية.

أما بخصوص كيفية إدراك المشاكل اللغوية التي تظهر أثناء الترجمة، فيؤكد فيدوروف أنه بالنسبة للمشاكل المعجمية، إذا استدعت الحاجة صياغة مصطلح جديد لا تتيحه اللغة الهدف، فعلى المترجم أن يعتمد إلى العناصر المعجمية والصرفية التي توفرها هذه اللغة، اعتماداً على معرفته العامة وإحاطته الشاملة بهذه العناصر، مع اعتبار سياق النص. وتصاب المصطلحات بالتنبيه لأهمية مضمون النص، لذلك فالمطلوب هو فرز الأمور الثلاثة الآتية:

- عدم توافر المعادل الموضوعي/ النصي في اللغة المصدر؛
- عدم تغطية المعادل الموضوعي/ النصي لمعنى الكلمة في اللغة الهدف تغطية تامة؛
- توافر مقابلات مختلفة للكلمة في اللغة الهدف مقابل اختلاف معانيها في اللغة المصدر.

2-2. المقاربة اللسانية النظرية للترجمة مع جورج موان

يتأطر اشتغال المترجم حسب إسهام موان في التنظير للترجمة عبر تساؤلين يعتبرهما محددين لمجال الاشتغال ومداه:

- هل الترجمة من لغة إلى أخرى ممكنة أو لا؟
- هل الدراسة العلمية للترجمة فع من اللسانيات؟

يؤكد موان على أنه "إذا سلمنا بالنظريات الشائعة حول البنية المعجمية والصرفية والنحوية فإن الأمر ينتهي بنا إلى القول إن الترجمة يجب أن تكون مستحيلة" (موان، 2013، صفحة 54). وبما أن واقع وجود مترجمين منتجين لترجمات يُنتَفَع بها يدحض هذا الادعاء، فإن وصف بنية لغة ما بلغة أخرى، يثبت وجود عمليات الترجمة.

أشار مترجم كتاب "المسائل النظرية في الترجمة" إلى غزارة المصطلحات اللسانية نتيجة ما عرضه المؤلف من قضايا لسانية وما ناقشه من آراء اللسانيين، باحثاً عن منفذ يخرج منه بنظرية تؤكد إمكان الترجمة (للمزيد من المعلومات، ينظر: (موان، 2013، صفحة 14)). وقد دفع تساؤل موان عن إمكانية الترجمة من عدمها به إلى الاستغراق في عرض النظريات اللسانية لتبرير تعريفه الترجمة باعتبارها عملية لغوية في الدرجة الأولى، تقوم على سلسلة من الإجراءات والتحليلات اللسانية البحتة، بالاستفادة من معلوماته عن نظريات الدلالة والنظرية المعجمية والوحدات الدلالية الصغرى.

أما بالنسبة للإشكال الثاني، فيبسط موان إجابته في الفصل الثاني من الباب الأول من "المسائل النظرية في الترجمة"، بعرض الخلاف بين المترجمين الذين يؤكدون أن الترجمة فن وبين الذين يدعون اعتبارها عملية لغوية بالدرجة الأولى، وهو في ذلك يتخذ موقفاً توفيقياً ينأى عن تطرف كلا الفريقين، حيث يرى أن "آراء إدمون كاري لا تنكر نظرية فيدوروف وفييناى بقدر ما تحدها وتكملها بحق" (موان، 2013، صفحة 61)، وبذلك يعترف أن للترجمة أشكالاً غير لغوية، ولكنها تستند إلى سلسلة من الممارسات والتحليلات اللغوية الصرفة. (للاطلاع على تفاصيل هذا العرض، ينظر (موان، 2013، الصفحات 52-64)).

عموما تحتل قضية إمكانية الترجمة من عدمها مكانة هامة في تفكير مونان، لذلك يجتهد في تقديم جواب دقيق عن هذا الإشكال؛ بتركيزه على كون الترجمة ليست دائما ممكنة، بل هي طائفة فقط في حدود معينة وضمن هوامش محددة؛ لذلك فبدلا من اعتبارها مسألة مطلقة وأبدية، ينبغي تحديد هذه الحدود في كل حالة، والعمل على وصفها وصفا دقيقا (Mounin, 1963, p. 273).

بعبارة أخرى، يرى مونان أنه لا ينبغي تقييم حدود الترجمة من الناحية النظرية بشكل مطلق، بل تصح معالجة كل حالة على حدة؛ فبدلا من الانشغال بالهموم التقليدية لممارسي الترجمة، من حيث إمكانية الترجمة أو عدم إمكانية، أو الاهتمام بتقييمها باعتبارها كاملة أو ناقصة، تعرف اللسانيات المعاصرة الترجمة بوصفها عملية يقتزن نجاحها بالمستويات المختلفة من التواصل الذي تُحققه (Mounin, 1963, p. 278). وهو التعريف الذي عُدد مقبولا، مع أنه يخرج الترجمة من مجال اللسانيات ليربطها بنظرية التواصل التي عرفت توسعا كبيرا يضاهي التوسع الذي أدرك اللسانيات في القرن الماضي (Guidère, 2010, p. 46).

في إطار المشكلات النظرية للترجمة، يعتبر مونان اللسانيات إطارا مرجعيا ومفهوما لدراسة الترجمة، إذ إن نقطة الانطلاق لديه تتحدد في كون الترجمة احتكاكا بين اللغات، ومؤدى هذا التصور أنها "تواصل لغوي وفعل ثنائي اللغة" (Mounin, 1963, p. 4)، أو فعل بين لغات متعددة، على الرغم من اعترافه بصعوبة اكتشاف أكثر من بضع إشارات عابرة للترجمة في مؤلفات اللسانيات الكبرى الحديثة آنذاك، "فلدى فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure ويسيرين Otto Jespersen وإدوارد ساير Edward Sapir وليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield يصعب اكتشاف أكثر من أربع أو خمس إشارات عابرة ترد فيها الترجمة عرضا دون أن تقصد لذاتها مرة واحدة تقريبا" (مونان، 2013، صفحة 57). التزاما بإيمانه بأهمية الدراسات اللسانية، يربط مونان المشاكل النظرية التي تطرحها قضايا من قبيل مدى شرعية العمليات الترجمة أو عدم شرعيتها، وإمكانية الترجمة أو استحالتها، بالسياق الذي تطرح فيه، مؤكدا أن هذه المشاكل لا تتجلى إلا في سياق اللسانيات. وبذلك شكلت دراسته أفقا متسعا لالتقاء الترجمة بعلوم اللغة والتواصل.

والواقع أن هدف مونان هو الارتقاء بالترجمة، التي عرفت كثافة واتساعا في جميع الميادين، إلى مرتبة "العلم". وإمكانية تحقق ذلك تكون بالمرور عبر اللسانيات، لذلك يرى أن الدراسة العلمية للترجمة، تخول لها الحق في أن تصبح أحد فروع اللسانيات على خلاف ما ذهب إليه كاري الذي أنكر تعريف الترجمة باعتبارها عملية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعرفة العلمية وبخاصة التحليل اللساني. (انظر مناقشة جورج مونان لهذا الخلاف بين إدموند كاري ومؤيدي اعتبار الترجمة عملية لغوية بحثية (مونان، 2013، الصفحات 60-63).

وفق هذا المنظور، ينطلق مونان من اعتبار الترجمة ممارسة لازدواج لغوي يستهدف تحقيق التواصل بين لغتين أو أكثر، في إشارة إلى إمكانية الترجمة من لغة واحدة إلى لغات متعددة. ولإدراكه أن للترجمة كمائن متعددة؛ كمائن البنى اللغوية والمفردات والتباعد الثقافي والاختلاف الحضاري الذي يشكل حاجزا بارزا أمام تحقيق التقارب اللغوي، ينظم مونان أبواب كتابه عبر الفروقات الثنائية التي تدرج ضمن اللسانيات النظرية وهي:

- الألسنية والترجمة؛
- العقبات الألسنية؛
- المعجم والترجمة؛
- رؤى العالم والترجمة
- تعدد الحضارات والترجمة؛
- علم النحو والترجمة.

ويبني مونان مقاربته لهذه الجوانب باستعراض عمق النظريات الرئيسة آنذاك؛ ومنها مطارحات سوسير الذي ركز على النظام الداخلي للغة وعدّه نظاما مغلقا تجب دراسته بأسلوب علمي مستقل عن الدور أو الوظيفة التي يؤديها. وبذلك فإنه أدرج المعنى داخل اللغة بمنحه شكلا موضوعيا، مزعزا الثقة في اعتبار اللغة مدونة أو فهرسا، ومن ثم فالعلاقة بين الصورة السمعية والصورة الذهنية علاقة اعتباطية (De Saussure, 1971, pp. 98-99). إن هذا التفسير العلمي للمعنى هو الذي جعل الترجمة الحرفية دائما في مأزق، فالكلمات وفق هذا المعنى لا تغطي بالضرورة المساحة التعبيرية في اللغات المختلفة. وهو الطرح ذاته الذي تتجه نحوه مناهضة زيليغ هاريس Zellig Harris التصور الذي يرفض اعتبار اللغة وعاء نقّتبس منه الكلمات عند الحاجة، واستبعاد بلومفيلد كل لجوء إلى كلمات من قبيل "فكر" و"وعي" و"تصور" و"شعور" لاستخدامها في علم دلالة علمي، لأن توظيفها ينبغي أن يكون بمعنية "علم نفس علمي" (مونان، 2013، صفحة 74)، وهو ما كان مستبعدا آنئذ.

في ضوء ما تحقق في الدراسات اللسانية، يشير مونان إلى أن عدة نظريات لسانية كبرى بينت أن إدراك المعاني اعتمادا على آليات غير أدبية؛ لسانية وأسلوبية بل أيضا سيميائية، أمر صعب، وقد يكون عشوائيا، وفي أحسن الأحوال تقريبا،

لذا لم يكن بإمكان هذه النظريات أن تتناول نظرية الترجمة ولا التطبيق الفعلي للعملية الترجمة (Mounin, 1963, p. 39).

3-2. اقتراحات رومان جاكبسون بخصوص المقاربات السيميائية

يعرف رومان جاكبسون الترجمة بكونها عملية نقل رموز، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، من لغة إلى لغة أخرى مع تضمن كل رمز منها معنى ودلالة. ويقترح في مقالته "حول الجوانب اللغوية للترجمة" (Linguistic Aspects of "On Translation" أصنافا ثلاثة للترجمة، وهي:

- الترجمة داخل اللغة الواحدة Intralanguage Translation، وهي أقرب إلى التأويل لأنها تعيد الصياغة أو تسمى ملفوظات من لغة ما بواسطة ألفاظ أخرى مرادفة لها من اللغة عينها؛
- الترجمة اللغوية البينية Interlanguage Translation، وتحقق بين لغتين مكتوبتين مختلفتين؛ (Basil & Munday, 2004, p. 124)
- الترجمة بين خطابين سيميائيين Intersemiotic Translation، وتسمى أيضا الترجمة الدلالية وتكمن في تأويل علامات لغوية بواسطة أنساق من العلامات غير لفظية (Munday, 2001, p. 22).

في سياق الترجمة البينية، يتناول جاكبسون ضمن القضايا الرئيسة المرتبطة بهذا النوع من الترجمة المعنى والتكافؤ، ويحدد الترجمة اللغوية البينية منها باعتبارها عملية تفسير أو تأويل Interpretation علامات اللغة المصدر بعلامات اللغة الهدف، ثم يشير في إطار دراسة مشكلة التكافؤ في المعنى بين المفردات في لغات مختلفة إلى عدم وجود تكافؤ تام بين وحدات هذه اللغات ورموزها وإيحاءاتها بوجه عام، لذلك يعد الترجمة الرسالة الكلامية التي يبثها المرسل، ومن ثم تغدو الترجمة البينية عملية تنطوي على تشفير المترجم رسائل في لغة معينة، وليس وحدات شفوية منفصلة، ونقلها بعد ذلك إلى رسائل كاملة في لغة أخرى (Basil & Munday, 2004, p. 124). وبذلك تكون الوحدات الشفوية، وإن تكافأت الرسالة، مختلفة نظرا لانتماها لنظامي علامات مختلفين.

كما يعالج مشكلة التكافؤ من الناحية اللغوية والسيميائية، فيؤكد على تثبيت تركيزها على الاختلافات في بنية اللغات ومصطلحاتها. ويرى في هذا الجانب أن الفوارق بين اللغات تتمحور على صيغ نحوية ومعجمية، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها التمييز في اللغات التي تحدد الجنس؛ إذ إن بعض الكلمات المؤنثة في لغة ما تكون مذكورة في لغة أخرى والعكس صحيح. ومن ذلك التركيز في اللغة الفرنسية على الضمائر الخاصة بجنس المشار إليه مما يتيح كثافة مرجعية تخص ضمائر الإحالة لما سبق ذكره، وهو ما ينبغي فرزه في الترجمة إذا كانت اللغة الهدف هي اللغة الإنجليزية مثلا. كما يتحقق التباين على مستوى هيئة الحدث ومستوى المجالات الدلالية، ومن ذلك أيضا بعض المفاهيم الوظيفية الأساسية في الكثير من اللغات العربية كفعل الكينونة (to be) في اللغة الإنجليزية و(être) في الفرنسية الذي ينقسم في اللغة الإسبانية إلى (ser) و(estar) (Munday, 2001, p. 37). لذلك، وتجاوزا للمشكلات التي تنجم عن عدم وجود تطابق بين الألفاظ والرموز والإيحاءات في اللغة المصدر واللغة الهدف، يقرر جاكبسون جعل وحدة الترجمة الرسالة الكلامية التي يبثها المرسل، ويفك سننها ويفهمها ويمثل أبعادها المباشرة وغير المباشرة ويعيد صياغتها في سنن اللغة الهدف. وعلى هذا الاعتبار، يتأكد الطابع اللغوي المميز لعملية الترجمة والذي يعني مد الجسور بين لغتين بإيجاد وحدة كلامية ملائمة أو مطابقة في اللغة الهدف.

4-2. مقارنة كاتفورد للتحولات الترجمة في إطار اللسانيات التطبيقية

بما أن اللسانيات تمنح المهتم بدراساتها فهما لطريقة اشتغال اللغة، فإن توسيع المعارف في هذا الحقل المعرفي يكون ذا فائدة كبيرة للمترجم. ويصف كاتفورد هذا الانشغال بشكل أفضل في تعريفه للترجمة على أنها عملية تُجرى على اللغات (Catford, 1965, p. 1).

يعد كاتفورد من أهم المنظرين لنظرية الترجمة، يجعله إياها جزءا لا يتجزأ من مجال اللسانيات من حيث المفاهيم والمنهجيات عبر كتابه "مقدمة في نظرية الترجمة"؛

"Introduction à la théorie de la traduction"

حيث يسعى إلى دراسة منهجية للترجمة تبعا لنموذج لساني، لأنه يعتقد أن كل نظرية تخص الترجمة ينبغي أن تدرج في إطار المعرفة اللسانية. إلا أنه، بعد ذلك، تم التدقيق أكثر في المجال المعرفي الذي ينبغي أن تدرج في إطاره الترجمة، إذ حدد في إطار اللسانيات التطبيقية في بحث كاتفورد الثاني "نظرية لسانية في الترجمة" "الذي يوضح عنوانه الفرعي "مقال في اللسانيات التطبيقية" (Catford, 1965, p. 20) عزمه على التركيز على تحليل (ماهية الترجمة) لتطوير نظرية عامة تحقق الكفاية، وتكون قابلة للتطبيق على جميع أنواع الترجمة (Guidère, 2010, p. 46). ففي مقدمة هذا الكتاب يشير إلى أن ضرورة توازي خطي الترجمة واللغة تستوجب في تحليل عملية الترجمة ووصفها أساسا استخدام الآليات نفسها والتصنيفات عينها التي يتم تنفيذها لوصف اللغات.

وإذا كان كاتفورد يهدف إلى دراسة عملية الترجمة عبر التوسل باللسانيات التطبيقية، فإنه بذلك يجعل "موضوعه البحث في العلاقات القائمة بين اللغات التي تكشف عنها عمليات الترجمة" (بحراوي، 2015، ص. 262). وبذلك تتحقق العلاقة بين الترجمة واللسانيات التطبيقية؛ إلا أنه يدقق تصوره أكثر فيرى أن دراسات الترجمة ينبغي أن تكون مرتبطة باللسانيات المقارنة؛ حيث إن نظرية الترجمة تهتم بنوع معين من العلاقة بين اللغات، وهي لذلك فرع من فروع اللسانيات المقارنة (Catford, 1965, p. 20).

تعد جهود كاتفورد لبناء نظرية في الترجمة في البنية اللغوية من بين أكثر التجارب استثماراً لآراء جون روبرت فيرث J.R. Firth ومن بعده هاليداي في الترجمة؛ إذ انشغل بمعالجة مفهوم "التحول" مستنداً في مقارنته إلى النموذج اللغوي عند رفض فيرث تحديد اللغة باعتبارها رمزا بسيطاً يستخدم لنقل المعلومات، وهو الإطار المرتبط بنظرية التواصل السائدة في تلك الفترة. وبدلاً من ذلك يعرف المعنى في ارتباطه بسياق معين (Guidère, 2010, p. 42). لهذا يعتبر السياق حاسماً، ويقترن بعدد من العناصر؛ منها ما له علاقة بالفاعلين والفعل والفضاء والزمان. وكلها عناصر ينبغي اعتبارها لتحديد معنى الرسالة المترجمة. وعلى أساس التعريف الذي ساقه كاتفورد للترجمة من حيث تعيينها عملية استبدال مادة نصية بمادة نصية أخرى، يعد المعادل عنصراً هاماً في الترجمة على المستويين النظري والتطبيقي.

يميز كاتفورد أيضاً بين التطابق الشكلي والمعادل النصي؛ فيحسب الأول مفهوماً عاماً يقوم على نظام اللغة ويتعلق بلغتين، أما الثاني فيعتبره أي نص في اللغة الهدف يبدو أنه المعادل لنص في اللغة المصدر. وعليه فالمطابق الشكلي هو أي مقولة نحوية Category في اللغة الهدف (ومنها الوحدة والصفة وعنصر بنية...) يمكن أن تحتل بشكل قريب جداً مكاناً في اللغة الهدف "يمائل" المكان الذي تشغله مقولة اللغة المصدر في اللغة المصدر (Munday, 2001, pp. 60-61). أما المعادل النصي فيتمثل في "أي نص أو جزء من نص في اللغة الهدف يبدو في وضع معين أنه المكافئ لنص أو جزء من نص في اللغة المصدر" (مندي، 2010، ص. 91).

ويقترح كاتفورد، تبعاً لما سلف في إطار التحولات الترجمة نوعين من التحول:

- 1- تحولات المستوى A level shifts؛ وهو التحول الذي يتم بالنحو والمفردات المعجمية؛
- 2- تحولات المقولات النحوية Category shifts؛ وتتفرع بدورها إلى أربعة أنواع:
 - أ. تحولات بنوية Structural shifts؛ وتتم في البنية النحوية، ومن ذلك تحويل بنية الجملة في اللغة العربية؛ (ف + فا + مفع) إلى بنية (فا + ف + مفع) في اللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ وتعني هذه التحولات بالاختلافات التركيبية والصرفية، وهو ما يتضح أكثر عندما تكون اللغتان المصدر والهدف من فصيلتين لغويتين متباعدتين، إذ لكل لغة خواصهما. فإذا كانت رتبة الفاعل حرة في الإنجليزية مثلاً أو الفرنسية، فالأمر يختلف في اللغة العربية، دون أن يعني ذلك تمييز إحدى هذه اللغات بغناها كما لا يعني فقر الثانية.
 - ب. تحولات الصنف / الطبقة Class shifts؛ وتشمل التحولات الواقعة من جزء معين من أجزاء الكلام إلى جزء آخر، ومن ذلك مثال يورده كاتفورد: (مندي، 2010، ص. 91).

9-A (medical) student = un étudiant (en medecine).

حيث تمت ترجمة النعت الواسف (medical) بمركب ظرفي واصف (en medecine)؛

ج. تحولات الوحدة Unit shifts أو تحولات الرتبة Rank shifts؛ وفيها يحتل المعادل الترجمي في اللغة الهدف مرتبة مختلفة عن تلك الموجودة في اللغة المصدر، ونشير هنا إلى أن الرتبة هي الوحدات اللغوية الهرمية المتمثلة في الجملة والعبارة والمركب والكلمة والصيغة؛ (Munday, 2001, p. 91).

د. تحولات داخل النظام Intra-system shifts؛ وهي التحولات التي تحدث حينما تحتوي اللغة المصدر واللغة الهدف على نظم متطابقة تطابقاً شبه تام، ومع ذلك تستوجب الترجمة اختيار مصطلح غير متطابق في نظام اللغة الهدف، ومثلاً على ذلك تترجم الكلمة غير المعدودة (advice) في اللغة الانجليزية بالكلمة المعدودة (des conseils) في اللغة الفرنسية، كما يمكن أن تحل مكان أداة التعريف في اللغة الفرنسية "la" أو "les" أداة النكرة في اللغة الانجليزية (Munday, 2001, p. 91)، أو يُستغنى عنها أساساً، والعكس صحيح أيضاً، نحو:

10- Elle a les yeux bleus. = She has blue eyes.

11- He has a broken leg. = Il a une jambe cassée.

تعد محاولة كاتفورد بارزة في الإسهامات التي قدمتها اللسانيات في مجال الترجمة، لكن طرحه الذي يرى أن المعادل الترجمي لا يعادل التطابق الشكلي تماماً ما لبث أن تعرض لانتقادات شديدة، إذ عُدَّت مقارنته شبه علمية إلا أنها مقاربة لسانية مقارنة جامدة (Guidère, 2010, p. 47). لكن كاتفورد يؤكد أن المعادل الترجمي يستند، إضافة إلى المعايير اللغوية الشكلية، إلى معالم تواصلية مثل الوظيفة والمناسبة والموقف والثقافة. وهو بذلك يهتم بالوظيفة التواصلية للعنصر اللغوي في اللغة المصدر، بل إن لغته الاصطلاحية مبنية أساساً على مقارنة وظيفية للغة، وهي مظهر من مظاهر تأثره بأفكار مواطنيه هاليداي وفورث كما سبق أن بيّنا.

5-2. نموذج فيناي وداريلينه في التحولات الترجمة

يمثل فيناي وداريلينه الاتجاه الكندي الذي انطلق من وضعية الازدواج اللغوي التي عاشتها كندا مما نتج عنه ظهور منهج الأسلوبية المقارنة في مقارنة الترجمة في كتاب (Vinay, "Sylistique comparée de Français et de l'anglais" 1985) الذي يعرفان فيه الترجمة باعتبارها انتقالا ذا طبيعة مقارنة من لغة (أ) إلى لغة (ب)، يكون هدفه تفسير الآليات وتيسير التحقق من صحة الترجمة عبر إبراز القوانين الصالحة للغتين موضوع الترجمة، وبذلك تركز الترجمة على التطبيق العملي للأسلوبية المقارنة (Vinay, 1985, p. 20).

يحدد الدارسان استراتيجيتين رئيسيتين في الترجمة هما؛ الترجمة المباشرة والترجمة غير المباشرة، وتتضمنان مجموعة من الإجراءات نستعملها بإجراءات الترجمة المباشرة وهي:

1- الاقتباس Emprunt؛ عبر عملية نقل الكلمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف مباشرة؛ والإبقاء عليها في صورتها الأصلية حتى لو اقتضى الإجراء توضيحها في السياق أو تفسيرها في الهامش؛

2- النسخ Calque؛ حيث تُجرى عملية نقل تعبير أو تركيب من اللغة المصدر في ترجمة حرفية بتفعيل قواعد اللغة الهدف؛

3- الترجمة الحرفية Literal translation؛ وهي ترجمة شائعة بين اللغات المتجاورة، ويحسبها الباحثان ترجمة جيدة لأنه "لا يجوز التضحية بالحرفية إلا لدواع بنيوية ولغوية إضافية وبعد التأكد من أن المعنى قد تم نقله بالكامل" (جيريمي، 2010، صفحة 86).

على أن فيناي وداريلينه مع ذلك يعترضان على الترجمة الحرفية في الحالات الآتية:

- إذا كانت تفضي إلى معنى مختلف؛

- إذا كانت بدون معنى؛

- إذا كانت مستحيلة لأسباب بنيوية؛

- إذا لم يكن لها تعبير مقابل ضمن الإمكانيات اللغوية للغة الهدف (Munday, 2001, p. 57).

في هذه الحالات يتعين التوصل باستراتيجية الترجمة غير المباشرة عبر إجراءات أخرى هي:

1- التحويل Transposition؛ حيث يُوظف جزء من أجزاء الخطاب محل جزء آخر دون تغيير المعنى، وقد يكون هذا الإجراء إلزاميا أو اختياريا.

2- التعديل Modulation؛ وهو تغيير يحصل في دلالة اللغة المصدر ومنظورها، وقد يكون هو أيضا إلزاميا كما يجوز أن يكون اختياريا بترجيح بنية معينة في لغة على بنية أخرى. ويعتبر إجراء التعديل مبررا حينما تبدو الترجمة غير ملائمة أو ركيكة أو عندما لا تحل مشكلة التعابير الاصطلاحية المسكوكة في اللغة الهدف.

3- التكافؤ Equivalence؛ يوظف هذا المفهوم للدلالة على الحالات التي تقوم فيها اللغات بوصف المواقف ذاتها، بتوظيف مختلف الوسائل الأسلوبية والتركيبية دون الاستعانة بالمعادلات اللسانية أو البحث عما يكافئها في اللغة الهدف؛ ومن ذلك ترجمة الأمثال أو العبارات المسكوكة ونحوها.

4- التكيف Adaptation؛ وعبره تستبدل الدلالة الثقافية وتتم الإحالة على موقف ثقافي مماثل في اللغة المصدر عندما يستعصي نقله لغيا به في الثقافة الهدف.

يتيح تتبع هذه الإجراءات السبعة (Vinay, 1985, p. 37) التي تشمل إجراءات الترجمة المباشرة وإجراءات الترجمة غير المباشرة، ملاحظة أن عملها يتحقق على ثلاثة مستويات، هي: مفردات اللغة والبنى النحوية والرسالة، الدالة على اللفظ وسياقه. وبذلك ينطلق المترجم من المعنى ويُجري عمليات التحويل كلها داخل مجال علم الدلالة، كما يؤخذ بعين الاعتبار نسق الكلمات والبنية الموضوعية والروابط والعناصر الإشارية ومنها الضمائر التي تسهم في تماسك النص. ومن ثم تعد الترجمة وفق هذا التصور هي تداول الكلام وصرف التصورات بنقل فكرة ما من شخص إلى آخر، وإنما هي إخراج الفكرة كما هي لدى المتكلم، بقوتها الذاتية الداخلية.

لقد سعت المقارنة بين لغتين إلى الكشف، في الفرنسية كما في الإنجليزية، عن مظاهر ظلت مضمرة على اللساني الذي يشغل على لغة واحدة، لأن الترجمة عبر هذا التصور المقارن تسعف بملاحظة كيفية اشتغال لغة مقارنة مع أخرى. وبهذا المعنى يصح اعتبارها مادة مساعدة للسانيات. لذلك يصرح فيناي وداريلينه إلى أنهما "تمكنا، بمقارنة اللغتين الفرنسية والإنجليزية، من استخلاص سمات فيهما كانت ستبقى خافية على اللغوي الذي يعمل في إطار اللغة الواحدة. يبدو، إذن، أن الترجمة وسيلة بحث واستقصاء ليس من أجل الفهم والإفهام، وإنما لملاحظة عمل إحدى اللغتين بالنسبة للأخرى." (Vinay, 1985, p. 25). وبذلك يثبتان حق الترجمة في أخذ مكانها في مبحث لساني عام.

6-2. إسهامات نايدا في علم الترجمة

يمثل نايدا الاتجاه الأمريكي في الترجمة. بدأ اهتمامه بها في الأربعينيات من القرن العشرين أثناء عمله على ترجمة الكتاب المقدس، لكن نظريته لم تتطور إلا في عدد من المقالات والكتب التي صدرت في فترة الستينيات، أحدها: Towards a Science of Translating، (ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، انظر: (نايدا، 1976)) وفيه ابتغى توظيف إحدى نظريات حقل اللسانيات في الترجمة؛ ومن تجليات هذا الهدف عنده، اهتمامه بتوظيف مفاهيم مجال اللسانيات، حيث اقتبس مصطلحات علم الدلالة والتداولية ومفاهيمهما، كما استند إلى أطروحات النحو التوليدي التحويلي عند شومسكي في البنى النحوية. ويقدم في هذا الإطار توظيفاً لمختلف المقاربات العلمية في المعنى معتمداً على تجاوز الفكرة التقليدية القائلة بأن للكلمة المكتوبة معنى ثابتاً، ليعوضها بصياغة تعريف وظيفي للمعنى، تكتسب الكلمة فيه معنى عبر تقييدها بسياقها، ويمكن أن تولد استجابات متعددة تبعاً للثقافة السائدة. لذلك فإن القيمة المضافة في طرح نايدا هي تشديده على أهمية العنصر الثقافي في الترجمة.

نختزل معايير الترجمة وتقييمها، كما يعرضها نايدا، في ثلاثة أقسام:

- أهمية التواصل، وتحدد بدرجة التلقي التي ينبغي أن تتحقق بأقل جهد مبذول لتشفير سنن النص الهدف؛
 - فهم القصد الأصلي ويتحدد بقياسه برد فعل المتلقي؛
 - إحراز تعادل ردود الفعل لدى قارئ النص الأصل والنص المترجم (Nida E. , 1964, p. 182).
- يتعلق المعيار الأول بالمادة اللغوية التي تنظمها القوانين النظرية العامة للتواصل، أما المعياران الآخران فيندرجان ضمن استراتيجية التواصل.

وبناء على ما سبق، يتوسع المعنى عند نايدا لينقسم إلى:

- المعنى اللغوي Linguistic meaning ويستصحبه نايدا من نموذج شومسكي؛
- المعنى المرجعي Referential meaning وهو المعنى المعجمي الدلالي؛
- المعنى الانفعالي Emotional meaning والإيحائي (Guidère, 2010, p. 79).

حسب تعيين نايدا للمعنى المرجعي والمعنى الانفعالي، يستعين المترجم بالأساليب المستمدة من الدراسات اللسانية لتحديد معنى المصطلحات اللغوية المختلفة. وترتكز هذه الأساليب على تحليل بنية الكلمات، وتميز ما اشتبه منها في مجالات دلالية متقاربة، وترتيبها ترتيباً هرمياً يميز بين متواليات من الكلمات تبعاً لمستواها. كما تستوعب المجالات الدلالية أيضاً أساليب تحلل المكونات، وتُعين معالم مجموعة من الكلمات، وتُفَرِّز لتُعرض بعدئذ في تصميم بياني واضح يدعم إجراء مقارنة شاملة، وهي نتائج تفيد المترجم الذي يتعامل مع لغات متعددة.

من جهة أخرى، يعرض نايدا تفصيلاً لتحليل البنى الدلالية المختلفة للكلمات، مؤكداً أن هذا التحليل يحفز المترجمين على الوقوف على حقيقة هامة هي أن دلالة مفردة ما تتقرر وفقاً للسياق الذي ترد فيه، كما أن قيمتها الانفعالية أو الإيحائية دينامية إذ تتغير تبعاً للثقافة والتداعيات الذهنية المصاحبة للكلمة أثناء "تداولها". لذلك يركز على أهمية تحليل السياق العام للنص المصدر، ودوره في تحديد دلالات النص ومعانيه، على اعتبار أن النص حدث تواصل.

بتتبع تمفصلات الكتاب، يتضح جلياً تأثير شومسكي في "نايدا" الذي يستخدم المعالم الجوهرية المستقاة من النموذج الأول،⁵ ويوظفها في علم الترجمة؛ حيث يرى أن نموذج النحو التوليدي التحويلي عند شومسكي يمنح المترجم وسيلة لفك شفرة Code النص المصدر وطريقة لتشفير Codage النص الهدف على الرغم من أنه يعكس هذا النموذج عند تحليل النص المصدر، إذ يتبنى عملية اختزال البنية السطحية للنص المصدر إلى العناصر الأساسية للبنية العميقة المنقولة بدورها عبر عملية الترجمة، لتُبنى مرة أخرى دلالياً وأسلوبياً فتمثل البنية السطحية للنص الهدف (Munday, 2001, p. 57).

وفقاً لما سبق ينشأ طرح نايدا على مفاهيم مؤسسة للترجمة؛ حيث يقوم النظام المعتمد عنده في الترجمة على سيرورة تمر عبر مراحل ثلاث، هي؛

- أ- التحليل Analysis؛
- ب- والنقل Transfer؛
- ت- إعادة البناء Restructuring.
- ث-

5- عرفت النظرية التوليدية مع شومسكي بكونها عبارة عن نماذج وتيارات وتصورات مختلفة داخل التصور نفسه، ويعد كتابه البنيات التركيبية (1957) انطلاقة ما سمي في الأدبيات اللسانية المعاصرة بالنحو التوليدي التحويلي. لمزيد من التفاصيل في هذا النموذج ينظر: (غلفان وآخرون، 2010، الصفحات 95-108).

وقد صاغ نايدا هذه المراحل من خلال في شكل توضيحي نستصحبه كالآتي:

خطاطة 1 : مراحل الترجمة وفق تصور نايدا (Nida & Russel, 1974, p. 33)

تعد هذه الطريقة ممارسة علمية وإجراء عمليا من وجهة نظر نايدا وشارل تيرير Charles Russel Taber، خصوصا إذا قورنت بمحاولات أخرى لوضع تكافؤات بين أزواج تُمثّل نظام النص في اللغة المصدر ونظام النص في اللغة الهدف. ويُبيّن هذا النموذج مصطلح "نواة"، فإذا كانت النواة تمثل البنى الأساسية في نموذج شومسكي الأولي،⁶ فهي تعد بالنسبة لنايدا عنصرا أساسيا، لأن اللغة تؤسس عليها بُناها السطحية المحكمة (Nida & Russel, 1974, p. 39).

وعليه، يرى نايدا أنه بالإمكان تحصيل الجمل النواة Kemel sentences من البنية السطحية للنص المصدر عبر عملية تحويل عكسي موجزة. ويدرك التكافؤ والأثر المقصود باعتبارهما عنصريين جوهريين في النموذج الذي يقترحه. وفي هذا الصدد يتجاوز المصطلحات التقليدية التي ارتبطت بالدراسات الترجمانية ومن ذلك؛ الترجمة "الحرفية" Literal و"الأمينة" Faithful و"الحرّة" Free... ليؤسس لنوعين من التكافؤ:

النوع الأول هو التكافؤ الشكلي Formal equivalence الذي يقر بالرسالة ذاتها من حيث صيغتها ومحتواها، وهو بذلك ثابت بشدة على بنية النص المصدر للانتهاك إلى الحدق والصحة.

أما النوع الثاني من التكافؤ فهو التكافؤ الديناميكي Dynamic equivalence المقترن أساسا بمبدأ الأثر المعادل The principle effect of equivalence عند نايدا. ويشكل القاعدة التي يطمح عبرها إلى تحقيق أثر طبيعي يعادل أثر رسالة اللغة المصدر (Munday, 2001, p. 59). ولا يتاح ذلك إلا إذا كانت العلاقة بين المتلقي والرسالة تماثل بشكل أساسي الصلة القائمة بين المتلقي والرسالة في النص الأصلي. (Nida & Russel, 1974, p. 12). ولتأدية هذا الشرط، ونظرا للصعوبات التقليدية المطروحة بين فكري الصيغة والمحتوى، أو الشكل والمضمون، يشدد نايدا على مبدأ أساس مجمله أن تكون الأولوية للتقابل في المعنى على التقابل في الأسلوب. ومن ثم يعتقد بضرورة إجراء تعديلات على المستوى النحوي والدلالي والثقافي قصد التخفيف من غرابة ثقافة النص المصدر ومن ثمة بلوغ معادل طبيعي (Nida E., 1964, p. 167).

انطلاقا مما سلف من إشارات نايدا، نتعرّف خصائص الترجمة، إذ يحدد أهمية الانسجام النصي على حساب الانسجام اللفظي، ومن ثم يقر بتفوق المعادل الدينامي، المرتبط برد فعل المتلقي، على التوافق الشكلي وبذلك تعطى الأسبقية للأشكال المستعملة لدى المتلقي الهدف.

تناول الكتاب مسائل نظنها بارزة في حقل الترجمة، وقد أثارها اللسانيات في خمسينيات القرن العشرين وستينياته؛ وفي مقدمة هذه المسائل مصطلحا المعنى والتكافؤين الشكلي والديناميكي، وعبرهما يشغل المتلقي قلب عملية المعادلة بين النص المصدر والنص الهدف، مما نتج عنه تأثير على بقية المنظرين بعده. كما يستقي طرح الكتاب عددا من المعطيات المختلفة من حقول معرفية متنوعة، أتاحت له أن يكشف عن يسر تزويد أي حقل معرفي أو أية نظرية بالمعطيات الضرورية للتعامل برضى مع الجوانب المتعددة للتواصل بين اللغات.

6- تعد الجملة النواة أساسية في نموذج شومسكي 1957، وتكون وليدة تأويلات إجبارية، ويقوم المكون التحويلي بتحويلها إلى جمل بسيطة أو مركبة، للاطلاع على صفات الجمل النواة / الأساسية وموقعها في هيكل البنيات التركيبية ينظر: (غلفان و آخرون، 2010، الصفحات 106-108).

من جهة أخرى، يؤكد نايدا في كتابه "السياق في الترجمة" (Nida E. A., 2002) "Context in translating" أن تغيير أهمية السياق غالبا ما يكون مسؤولا بشكل أساسي عن أسوأ الأخطاء في فهم معنى النص المصدر لإعادة إنتاجه. وعلى هذا الأساس، يركز على الدور الذي يؤديه السياق بالنسبة للتواصل أثناء التعامل مع المعنى المجازي والمصطلحات الثقافية المعقدة. (لمزيد من التفاصيل بخصوص دور السياق في الترجمة، وأهمية ضبط السياقات التي تنطوي على أبعاد ثقافية، ينظر: (Nida E. A., 2002, pp. 29-41).

لذلك ينبغي "فهم السياق على أنه يؤثر بكل مستويات النص: البنيوية والفونولوجية والمعجمية والقاعدية... (نايدا ي., 2009، صفحة 5). ومع ذلك يقر بصعوبة تحديد مدى حجم المفردات التي يحتاج إليها للترجمة، لأن التركيز غالبا ما ينصب على محتوى النص، والمتلقي الهدف.

على الرغم من الانتقادات الذي تعرضت له نظرية نايدا في الترجمة، ومع نسبة تعادل الأثر لارتباطه بالمتلقي، فإن طرحه لمفهوم التكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي اعتبر أمرا جوهريا في انطلاقة نحو نظرية ترجمة مؤسسة على المتلقي أو القارئ (Munday, 2001, p. 42). وأبحاثه، كما يصرح بذلك لادميرال تبدو "متجاوزة لحدود علم الترجمة الوصفي لتلتحق بعلم الترجمة الإنتاجي" (لادميرال و آخرون، 2009، صفحة 35). وهو العلم الذي يعترف بالذاتية في منهجيته، ويستهدف التوصل إلى علم التدريس Pedagogy، بل أيضا علم التدريس الذاتي Auto-pedagogy في الترجمة أو على حد تعبير جون دوليل نظرية تعليمية في الترجمة (لادميرال و آخرون، 2009، صفحة 37).

لا نعدم، في الأبحاث التي درست أطروحات الترجمة عند نايدا، إشارات إلى اعتباره رائد الترجمة المعاصر؛ (ينظر على سبيل المثال: (Mounin, 1963, p. 64)، (Munday, 2001, pp. 54-61)، (Depré, 1999, p. 55))؛ لأنه لساني خبير، لذلك، كما ورد في مقدمة مترجم كتاب جورج موان، اختارته جمعية الكتاب المقدس الأمريكية مع عدد من علماء اللسانيات للإشراف على عمل المترجمين قصد تجويد عملهم الترجمي (موان، 2013، الصفحات 2-4). وهو بذلك، حسب آراء هؤلاء الدارسين، أول لساني يُنظر بوضوح لهدف الترجمة التواصل؛ لأنه حدّد مفهوميْن للتعادل بين النص المصدر والنص الهدف: التعادل الشكلي الذي ينقل شكل النص المصدر، والتعادل الديناميكي الذي يهدف إلى تلبية حاجات المتلقي التواصلية.

لقد كانت مقارنة نايدا في الترجمة محط انتقادات أيضا؛ فمع أن أبحاثه نوهت باستهدافها الموضوعية والحياد، فإنها تستبطن في الوقت ذاته البعد الإيديولوجي الكامن في ثنائيا مقاربتيه اللسانية التي تضم إشارات ذات بعد بروتستانت. ومع ذلك، فرغم النقاش الذي أثير بشأن طريقته اللسانية، فإن اقتراحه عموما، قد ترك تأثيرا بالغا على الكثير من الباحثين في مجال الترجمة.

الخاتمة

تمكّن اللسانيات الدارسين من معرفة كيفية اشتغال اللغة، وكيفية تغييرها واختلافها، وكيف يتم توظيفها، ومعالجتها. وقد تناولنا في بحثنا هذا مسائل، نظنها، هامة في الترجمة، أثارتها اللسانيات في خمسينيات القرن العشرين وستينياته، وفي مقدمة هذه المسائل رصدنا مصطلحي المعنى والتكافؤ، كما طرحهما جاكبسون واضطلع نايدا بتحديد معالمهما الجوهرية، وبذلك أمكنه إدراج نظرية الترجمة في اهتمامات البحث العلمي اللساني في العصر الحديث، وقد وضعت أفكاره عن التكافؤ الشكلي والدينامي المتلقي في عمق عملية المعادلة بين النص المصدر والنص الهدف. تعددت اهتمامات اللسانيين بالترجمة، فلكل لساني طرح نظري خاص به، وخلفية معرفية متميزة عن غيره؛ فنايدا مثلا ينهل من أطروحات النحو التوليدي التحويلي لدى شومسكي. وكاتفورد يستند إلى أعمال فيرث، بينما يمتح ميسن وإيان وبيكر من النحو الوظيفي النسقي هاليداي.

حقق الانفتاح على اللسانيات النصية والتداولية تقدما هاما في اعتبار المواقف التواصلية؛ كما قدمت اللسانيات التقابلية أدوات التحليل والتصنيف التي تحيط بالمشكلات التي يواجهها المترجمون، لاسيما المعوقات المتعلقة بتحليل النص المصدر وإعادة صياغة النص الهدف عبر الوعي بالاختلاف بين اللغات. وعلى الرغم من القبول المطلق بمبدأ إعادة صياغة النص المصدر اعتمادا على الفهم باعتباره أساس العملية الترجمية، تقرر نماذج مقاربات الترجمة التي تتبناها أسسها بأهمية الدراسة الوصفية والتحليلية للآليات اللغوية السطحية.

نستطيع انطلاقا مما سقناه من النظريات، الإقرار باستفادة الترجمة من النظريات اللسانية، إذ لا يكون النقل إلا بتطبيق التحليل اللساني والنظر إلى تراكيب اللغة المصدر وتعابيرها ومقارنتها بنظيراتها الدلالية في اللغة الهدف، لكن الإسهام الأكبر للسانيات في دراسات الترجمة، في تقديرنا، كان في تقديم أدوات الوصف اللغوي الدقيق لمجال دراسات الترجمة، والآليات المتضمنة لبعض ما هو مستثمر في تدريس اللغات الأجنبية.

- يعتبر فيديوروف الترجمة فرعاً من فروع الفيلولوجيا Philology، ومن ثم دراسة اللغات ومقارنتها بوصفها أداة للتعبير. وفي هذا السياق أيضا فإنه بإدراج كاتفورد الترجمة ضمن اللسانيات التطبيقية، يكون قد حدد موضوع بحثه في العلاقات

القائمة بين اللغات، ويستتبع هذا ارتباط الترجمة باللسانيات المقارنة إذ على أساس المنهج المقارن يتم الوصول إلى التكافؤ.

- أُلْمِع كاتفورد إلى الآليات والتصنيفات التي يتم إجراؤها أثناء تحليل عملية الترجمة، ومن هنا يتجلى الاعتماد على المادة المترجمة في التحليل والتفسير والاستنتاج، وغالبا ما تكون اللغة الأجنبية/ الهدف هي التي تمثل المشكلة في الترجمة نظرية وممارسة.

- ليس من الصعب، إذن، الاعتراف باحتضان اللسانيات التطبيقية لمجال الترجمة؛ ومن ثم ليس من المحال تبرير العلاقة التي نفترضها بينهما ومدى استفادة الدراسات الترجمانية من اللسانيات طرقا، ومناهج، وأدوات، ومصطلحات، وأطرا نظرية.

- إن القول إن الترجمة إجراء غير ممكن دون الاستفادة من اللسانيات أمر متجاوز، كما أن القول إن مقدرة المترجم تتجاوز إتقان لغة من اللغات الأجنبية أصبح أمرا بديهيا. وهذا يعني في نظرنا أن إعداد المترجم لا يقتصر على تمكينه لسانيا، بل إن تأهيله ينبغي أن يشمل أيضا مجالات المعرفة المختلفة موازنة مع تمرسه بمفاهيم لسانية لكي تتيسر سيرورة الترجمة أمامه، ويجتهد في الإسهام في التنظير لها.

قائمة المصادر

- A Martinet. (1967). *Eléments de linguistique générale*. Paris: Amand Colin.
- A, V Fedorov. (1953). *Introduction à la théorie de la traduction*. Traduction Française de Deresteau. Bruxelles: L'institut Supérieur de traduction et d'interpretes.
- Baker, M. (1992). *In other words: A course on translation*. London & Newyork: Routledge.
- Balliu, C. (2005, août). Clefs pour une histoire de la traductologie soviétique. (L. P. Montréal, Ed.) *Meta*, Volume 50 (3), 934-948. doi:https://doi.org/10.7202/011605ar
- Basil, & Munday. (2004). *Translation: An advanced resource book* (1sted). London: Routledge. London: Routledge.
- Catford, J. C. (1965). *Introducing Translation Studies: Theories and applications*. Oxford: Oxford University Press.
- Depré, I. O. (1999). *Théories et pratiques de la traduction littéraire*. Paris: Amand Colin.
- F. De Saussure. (1971). *Cours de linguistique générale*. Bally et Sechehaye: Albert Riedlinger.
- Guidère, M. (2010). *Introduction à la traductologie , penser la traduction: Hier,aujourd'hui, demain* (2nd ed.). Paris: Groupe De Boeck.
- Hudson.R. (1995). *Sociolinguistics*. Cambridge: University Press.
- J.P., & Darbelnet, D. J. Vinay. (1985). *Stylistiques comparées du Français et de l'Anglais. méthode de traduction*. Paris: Didier et Montréal.
- Mounin. (1963). *Les problèmes théorique de la traduction*. Paris: Gallimard.
- Munday. (2001). *Introducing Translation Studies: Theories and applications*. (1sted). London: Routledge. London: Routledge.
- Newmark, P. (1981). Oxford: Pergaman Press.
- Newmark, P. (1988). Hertfordshire, UK: Prentice Hall.
- Nida, & Russel. (1974). *The theory and practice of translation* . New York: The united bible societies.
- Nida, E. (1964). *Toward a science of translation*. Leyde/Ej: Brill.
- Nida, E. A. (2002). *Contexts in translation*. Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
- Strauss, C. L. (1945). *L'analyse Structurale en Linguistique et en Anthropologie*,. *WORD*, 1:1, pp. 33-53 .
- doi:10.1080/00437956.1945.11659244
- جورج، موان. (2013). *المسائل النظرية في الترجمة*. (لونجمان، المحرر، و لطيف زيتوني، المترجمون) مصر، الشركة المصرية العلمية للنشر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- جون روني، لاديميرال، وآخرون. (2009). *علم الترجمة، دراسات في فلسفته وتطبيقاته* (الإصدار 1). (حميد العواضي، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الزمان للطباعة والنشر.

غلفان، مصطفى وآخرون. (2010). اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة. إربد، الأردن.: عالم الكتب الحديث.

مندى، جيري. (2010). مدخل إلى دراسات الترجمة، نظريات وتطبيقات. (هشام علي جواد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المترجمون) أبو ظبي، ط1: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

يوجين، نايدا. (1976). نحو علم الترجمة. (ماجد النجار، المترجمون) بغداد- العراق: وزارة الثقافة.

يوجين، نايدا. (2009). دور السياق في الترجمة. دمشق، سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.